الإدراك الفكري لإشكالات الواقع وفق نظام الإحالة الجمالي

قراءة في تجربة الفنان إدريس الهوتي

البدايات سنة ١٩٩٢

اللوحة الفنية وجه من وجوه البحث، تستفيد مما سبقها وما يجول حولها لتأسيس آخر مرّكب ومستقل. ولعلّ علاقة الفنان بالواقع هي من أهم المسائل المعالجة اليوم بغض النظر عن أسلوب معالجتها، وكون اللوحة ذات منحى تركيبي فانه يصعب الإمساك بخصائصها ومعانيها الفنية.

ولعلّ ارتباط اللّوحة بالواقع اليوم يعود بقوّة، نظرا لأن الفن المعاصر بات مجالا مفتوحا للتنوع والهجانة والغرابة... وهذا ما يسحب ربما الفنان بتؤدة نحو واقعه للإيمان به جماليا، لتحريره من شوائبه والتوجه به نحو عالم المخيّلة للكشف عن عوالم عالقة ما بين الواقع والحلم.

الباحثة والتشكيلية التونسية : دلال صماري

عمل من ضمن مجموعة البرقع ٢٠١٠

عمل من ضمن مجموعة الباستيل ٢٠١١

بمعنى أنه ممكن للوحة أن تكون أكثر واقعية من خلال ابتعادها عن الواقع المائل أمامنا. فاللوحة إذا هي طبيعة مزدوجة (الواقعية وخارجها). فعندما ينظر إلى الواقع بعين الفنان تصبح النظرة رؤى، فينظر الواقع بدوره إلى اللوحة نظرة ذاتية وهذه الجدلية هي أهم الإمكانات للتعرف إلى الواقع بطريقة أعمق. هي اكتشاف للمظهر الموضوعي للواقع الفعلي بمعنى خلق لرؤيا فعلية للواقع، جديدة عنه ومنطلقة منه، وهذا الخلق ليس إعادة آلية للواقع بل هي بمثابة المسح الموضوعي للعالم الخارجي وهنا لا نقصد موضوعية الصورة بالقدر الذي نقصد من خلاله ذاتية الواقع.

ذلك الإيمان بوجود الشيء القائم ما بين الواقع وصورته تقدمه لنا اللّوحة، أي ان إمكانيات اللّوحة الاستيتيقية تكمن في إكتشافها الجديد للواقع. بمعنى أنها لا تنقل واقعا بعينه أو حقيقة ثابتة، بل هي إحساس بذلك الواقع وإعادة رؤيته من منطق ذلك الإحساس وتلك اللحظة بناء.

على الفكرة التخيلية التي تسكن ذهن الفنان ساعتها. تصبح من هذا المنطلق اللوحة تعامل حسّي وفكري مع الواقع لإنتاج نصّ بصري يحرك بدوره حسّ المتلقي.

عند نتتبع تجربة الفنان العماني إدريس الهوتي نلمس هذا التشبّث بالواقع لتجاوزه جماليا من خلاله، نلاحظ أن هناك تسلسلا جماليا يربط كل مرحلة بالتي تليها، حيث تتوالد الأفكار وتتناسل من بعضها، فكل مرحلة تأتي انطلاقا من سابقتها، فهو يمسك بطرف الخيط الجديد

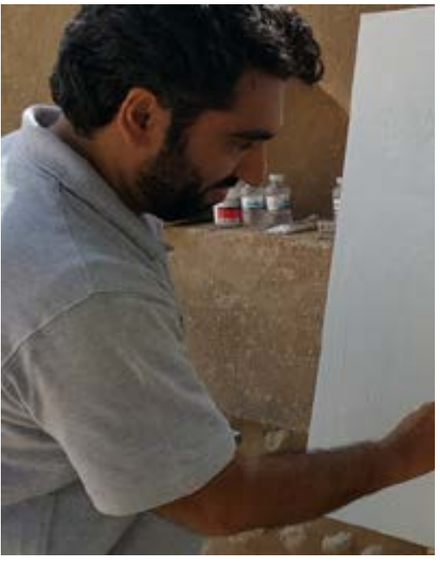

عمل يوضح بداية نضوج الاسلوب الفني للفنان ٢٠١٣

مما هو بين يديه في الزمن الحاضر.

زوايا النظر المختلفة للواقع تخلق تنوعا في الرؤى والتقنيات :

تتأثر دلالات اللوحة بطريقة وأشكال واتجاهات نظرة الفنان للواقع المستقاة منه، فزوايا النظر تلك هي تعبر عن اختيار الفنان الجمالي وغاياته الفكرية، وتنوّع زوايا النظر في كل مرة يتيح للفنان أن يقوي الجانب التخيّلي لديه، ويكسر من خلاله منطق النظرة الواحدة واجترارها لأن هذا قد يشعر المتلقي بالملل ويغيّب لديه تلك الرغبة في الاكتشاف والتساؤل. بمعنى أنه كلما نظر الفنان لواقعه بعيون متعددة كلما أصبح المنطق الجمالي متعدد الحضور والإيقاع في نفس المتلقي وذهنه، فاللوحة شكل ومضمون لذلك كما وجب البحث في الشكل ومكوناته لابد من البحث في المضمون ومحاولة الولوج إلى المعنى الذي يسكن العلامة والرمز.

حيث بدأت تجربة الفنان تقريبا مع سنة ١٩٩٢ ركز من خلالها طيلة أربع سنوات إلى حدود ١٩٩٦ على تعلم أصول الرسم، وبانت ميولاته التجريدية شيئا فشيئا، لم يسعى إلى العرض والمشاركات في البدايات بنصيحة من أستاذه وقتها، مركزا على تعلم أصول البناء والتركيب وحسن توظيف الألوان وضرورة إيجاد أسلوب خاص لصياغة رؤاه الجمالية.

من ثمة جرّب الكثير من التقنيات والأساليب الفنية حيث أنجز العديد من الأعمال ضمن ما يسمى بالفن الرقمي والفيديو أرت ما بين ٢٠٠٨ و٢٠٠٩، كما اشتغل بالباستيل بداية من

من آخر أعمال الفنان ٢٠١٦

٢٠١٠ والأكريليك في أغلب مراحل تجربته الفنية. تطورت من خلالها نظرته للواقع والمكتسبات وأمتلك تدريجيا الآليات التقنية والفكرية لترجمة أفكاره التي كانت ولا تزال تدور حول واقعه وبيئته بكثير من الالتزام الروحي والجمالي.

حيث عالج الفنان جماليا على سطح لوحاته الكثير من المواضيع الحارقة والتي استعار من خلالها أهم تجلياتها، فحضر البرقع، المرأة، الخط العربي، المعمار، المفتاح، الحيوان، الشجر...كلها استعارات لطرح القضايا من خلال نسج المجاز.

* البرقع من مميزات المرأة في المجتمع العماني هو ذلك القناع إن صحت العبارة الذي تضعه المرأة لتخفي ملامح وجها لاعتبارات الشعب العقائدية والعادات والتقاليد المتبعة، تلك العلاقة ما بين البرقع ووجه المرأة عالجها الفنان جماليا من خلال إعادة خلق علاقة جديدة بينهما داخل فضاء اللوحة واللعب على ثنائية الحجب والكشف، الحضور والغياب...وتوظيف الألوان لشحن هذه الجدلية فكان يطمس ما يريد بتلك الألوان القاتمة ويظهر ما يريد من خلال رفع منسوب الإضاءة في أماكن أخرى، كما يحظر الوجه حينا مغطى بالبرقع وحينا أخرر مقسم هندسيا بطريقة تخفي جل ملامحه ليقدمه لنا في صورة جديدة يتلاعب من خلال البناء والتركيب بتفاصيلها جماليا.

* الخط العربي أو الحروفية هي مرحلة تأسيسية نموذجية في تاريخ الفن العربي لذلك عادة ما يوظّفها الفنانون ولكن دلالاتها وحضورها الشكلي يختلف من تجربة لأخرى، ولدى الفنان إدريس الهوتي حضرت الحروفية على مستويين الأول بصفة طاغية على كامل مساحة اللوحة كمفردة تشكيلية، واستغلال طواعية الحرف للعب باستداراته وتعرجاته حينا واستقامته وقوّته حينا أخر فخلق العديد من التراكيب التي تميزه وفيها الكثير من أسلوبه البنائي الهندسي ومن روحه التواقة إلى التحرر من التجارب الحروفية التي سبقته، وعلى المستوى الثاني كان حضور الخط العربي مرتبطا إما بحضور جسد المرأة المجرّد والمختزل في هيكل ووجه أو مرتبطا بالمعمار، لنشهد تدريجيا حضور هذا الثلاثي معا في العديد من الأعمال(المرأة، الحرف، المعمار) ربما لالتقائهم في العديد من الخصائص الجمالية والروحية التي عمل الفنان على استغلالها.

* كما أن المعمار والمرأة ثنائية طاغية الحضور في أعمال الفنان بداية٢٠٠٨ من خلال أعمال الفن الرقمي التي حضرت من خلالها عدت إيحاءات تدل على إهتمام الفنان بوضعية المرأة في مجتمعه من خلال حضور رموز مستقاة من واقعها ومن

أساطير تدور حول حضورها الأزلي إما بفضاء مغلق أو خلف قناع يخفي هويتها، كالسمكة والقطة، الفضاء المغلق، التفاحة، المفتاح وذلك الحضور الساهم والشارد للمرأة.

و توضحت تدريجيا سنة ٢٠١١ من خلال تكوينات الباستيل التي تلاعب من خلالها الفنان بالخطوط الهندسية والغنائية لخلق

تكوينات تحيل إلى حضور المعمار من خلال تلك الأقواس والمنحنيات والزوايا من ناحية ووجه المرأة المحرّف هندسيا في تناسق وتواصل جمالي لافت. ومن سنة ٢٠١٢ وحتى اليوم تطورت تجربته أكثر وهذا يظهر جليا من خلال قوّة التركيب وتماسكه والتنويع في الأدوات والاستعارات. فالمرأة والفضاء المعماري في أعمال الفنان إدريس الهوتي ثنائية متلازمة جدا، هي عالم مستقل بذاته تكوّن تدريجيا من خلال تطور تجربته كما سبق وذكرنا وتناسل شيئا فشيئا من خلال ذلك الترابط الفكري، عالم له دلالاته وعلاماته ومعانيه. هو يجمع ما بين صورة المرأة (وجهها) والفضاء المعماري المغلق عادة ولكن هناك أيضا بثّ لبعض آليات الفضاء المفتوح من خلال استدراج شجر النخيل...

كما أن ملامح المرأة بدأت تمتاز بالوضوح رغم هندسية تكوينه ومن هنا يمكن البدء في فهم بعض كوامن وهواجس شخصياته الرئيسية(النساء) حيث تبدأ الصورة التخيلية هنا بالاشتغال لوحدها لتدفعني لتتبع مسار العلامات والرموز لتفكيك الصورة والنص المضمّن.

فالفضاء المعماري هو فضاء يحتوي تقريبا كل نشاطات المرأة في هذا المجتمع، هي ربما أزمة الفضاء المغلق او الجسد المحاصر في الفضاء الضيق وكما سبق وذكرنا بداية الوضوح واستدراج بعض دلالات الفضاء المفتوح هو توق للتحرر. إجمالا فان هذه الفضاءات المغلقة حينا والتي أحكم الفنان إغلاقها خطيا وتركيبيا ولونيا حينا، والمفتوحة من خلال ترك المجال للون ليطغى على جزء كبير من مساحة اللوحة وتلك الخطوط المفتوحة على اللانهائي حينا آخر لها دلالة عميقة. فذاكرة الأمكنة والمرأة متعددة ومتنوعة وهذا التنوع انعكس من خلال التنوع الكبير في توزيع الأشكال والألوان والدلالات على أسطح اللوحات، تلك الأنهج والممرات التي توحي بالفضاء المعماري في تناسق جمالي وبنائي هائل مع تلك الوجوه الساهمة حينا

والحادة حينا آخر، تلاطفها في كثير من

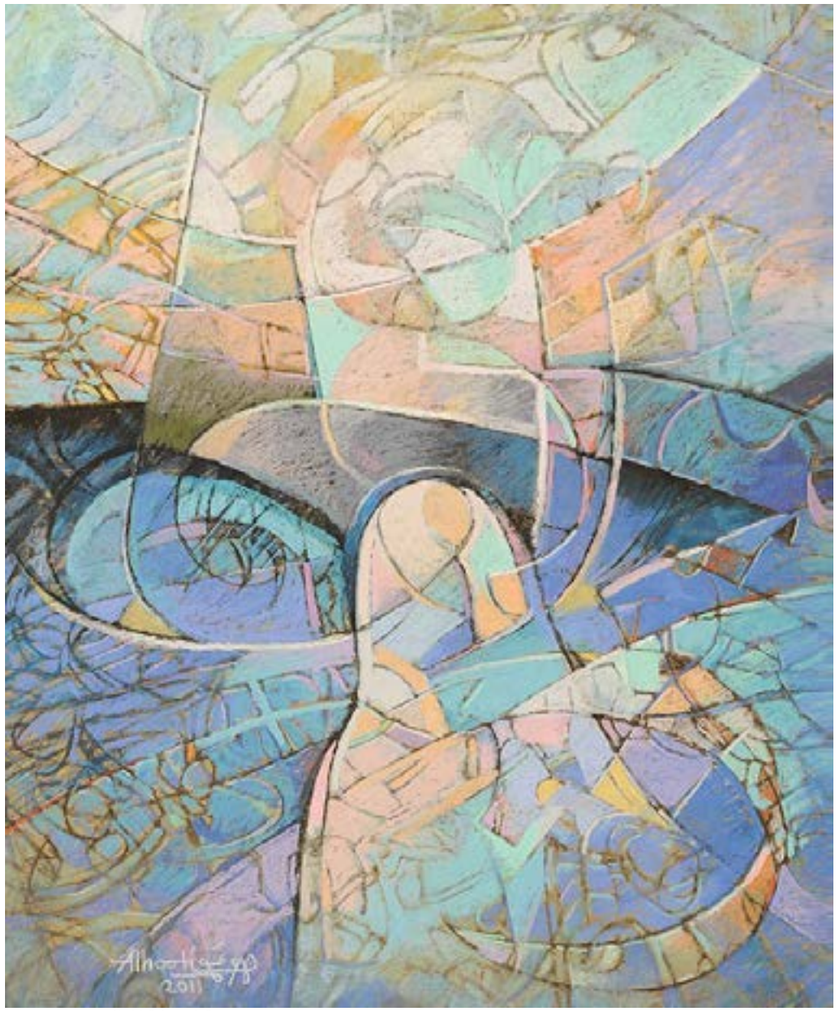

عمل من ضمن مجموعة الحروفية ٢٠١١

الأحيان نسمات زخرفية خارجية متأتية من شجر النخيل ورقصات الحروف والزخارف... يسافر من خلالها الفنان بقضاياه نحو اللازمان واللامكان.

الفضاءات اللامكانية :

كما سبق وذكنا أن اللوحة هي وجه من وجوه البحث الذي لا يقصي أي عنصر هو بحث في الشكل والمحتوى، وبحثنا لاستخراج الدلالات ومحاولة الإمساك بإيحاءاتها وبعض من معانيها هو إعادة الإيمان جماليا بما يحيط بنا ويخترقنا ويفصح عنا من خلالنا.

هذه الدلالات الكثيفة المضمنة في لوحات الفنان تنبع من مخزون ثقافي وحضاري للمجتمع الذي يعيش فيه الفنان، ووجودها هنا في هذه الفضاءات التصويرية يجعلها محملة بمدلول رمزي، لأنه لم يقع توظيفها لأبعاد تزويقية لخدمة الشكل بل هي تصبح حاملة لمعاني ودلالات مختلفة يتوغل من خلالها الفنان في عوالم خفية وعميقة مقارنة بدلالاتها الاجتماعية والثقافية المعتادة...علامات كثيرة تسكن الذاكرة، الفضاءات التقليدية، المرأة ورحلة الصراع نحو التحرر...

نموذج من أعمال الفنان الرقمية ٢٠٠٨

يعدّ إدريس الهوتي من الفنانين الموغلين في إستحضار الرموز لذلك تعد لوحاته متشعبة المسالك والرؤى التي تثير التساؤلات والتي غالبا ما تدرك هكذا بدون إجابات لتوليد أسئلة أخرى وليصبح المتلقي منخرطا في عملية التخيّل. تلك العملية التي تحيلنا من خلالها أجواء اللوحات إلى فضاءات جديدة.

هذه الفضاءات التصويرية التي أبدعها الفنان غير مجسدة واقعيا، لا هي مغلقة ولا هي مفتوحة، هي خيالية ومجازية. تستحضر بعضا من الواقع وكثيرا من الخيال، هي تمزج هذا بذاك وربما هي تبني ذلك الفضاء المنشود، هي لا تكبل وتقيد الأنثى بأي ترسبات بل هي تجعل تلك الوجوه تسبح في فضاءات لامكانية تمثل بدورها دافعا مهما للتشكيل والدفع الجمالي. تحطم فضاءات الفنان الجديدة القيود المكانية المعتادة

وتدفع اللوحة إلى نسج فضاءات المستقبل، إنها فضاءات متحركة تتعدد فيها أمكنة حضورها، اطر جديدة للتواجد ولإثبات الذات.

يتخذ الفنان إذا من الفضاءات الماثلة والمعتادة وعلاقتها بالمرأة، مادة لإعادة التكوين والبناء، مادة تسمح بالهدم، هدم المتوارث وبناء تكعيبية جديدة قوامها تجليات المخفي للجسد والمكتسب والفضاء المعماري...

فيصبح الفضاء المعماري جسدا متفاعلا، قابلا للهدم وإعادة التشكّل من جديد، ويصبح الجسد فضاء قابلا للتقسيم وإعادة التركيب، كما تصبح العديد من المكتسبات والموروثات الثقافية والحضارية كما العادات والتقاليد قابلة للإدراك الفكري عن طريق إحالتها إلى الفضاء الجمالي ومعالجتها بأسلوب يحررها من براثن الواقع وشوائبه.